

العمل والإنتاج .. أساس في بناء الحضارة



إنَّ المنهج القرآني يدعو إلى العمل والإنتاج والسعي في الأرض، يقول تعالى: وَالأَرْضَ وَصَّعَهَا لِلْأَنْعَامِ (الرحمن/ 10). وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاطَهَا (فصلت/ 10). فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ (المك/ 15). هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا (هود/ 61).

فالآية الأولى تنصّ على أنّ الأرض وما فيها من خيرات وُضعت للأنعام، للناس وللأحياء جميعاً، وإنّ سبحانه قد أودع في هذه الأرض ما يحتاجه الناس والأحياء من: (الغذاء، والخيرات، والمعادن، والمياه.. إلخ).

ذلك ما نقرأه في بيان الآية الكريمة: وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاطَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (فصلت/ 10)، فالآية توضح أنّ سبحانه قدّّر فيها ما تحتاجه الأحياء من القوت، وبارك فيها، والمباركة هي ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ثمّ هي سواء للسائلين، أنّ تلك المنافع والخيرات هي عامّة للجميع من غير تفریق: سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ.

الكلّ محتاج للقوت، الناس والحيوان والأحياء جميعاً، والقرآن يدعو إلى السعي في الأرض والعمل والإنتاج، وكسب الرزق بقوله: فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ (المك/ 15).

ثمّ يوضّح القرآن للإنسان أنّ سبحانه خلقه من تراب الأرض، واستعمره في هذه الأرض، أي أوكل إليه أمر إعمارها وإحيائها، والإعمار ضد الخراب، وهو واضح الدلالة.. فالأرض تُعمّر بالعمل، والعلم، والإيمان، والإنتاج، والإحياء، ومكارم الأخلاق. في كلّ مجال من مجالات الإنتاج وإدامة العمران والإحياء، وحمايتها من الخراب والدمار.

وينهى القرآن عن تخريب الأرض وتدمير خيراتها بقوله: وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (الأعراف/ 56)، وتكفلت قوانين العقوبات في الإسلام بمعاينة المخرابين والمفسدين في الأرض، وتتحدث الآية (32) من (سورة الزخرف) عن المعيشة والاختلاف في الطاقات والمهارات، والقدرة على الإنتاج المادي والأدبي والخدمي، وتبادل المنافع بين أفراد المجتمع ومؤسساته التي ينتجها الأفراد والجماعات لتتكامل الحياة الاجتماعية، وتسدُّ الحاجات المختلفة، وذلك ما تبينه الآية الكريمة: أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (الزخرف/ 32).

وفي السياق نفسه نقرأ الدعوة للتخلي عن أن يكون همُّ الناس جمع إنتاجهم، وتكريسه، وحرمان الآخرين منه، ذلك ما نقرأه في قوله تعالى: وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (الزخرف/ 32)، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى (المعارج/ 17 - 18).